

الشكلانية الروسية :

ظهرت الشكلانية الروسية ما بين (1915-1930) ، في سياق تاريخي يندد بالرأس مالية ، ولا يعترف إلا بالاشتراكية العلمية التي تعود في جذورها إلى كتابات كارل ماركس ، جورج ييليكخانوف ، هيجل ، أنجلز ، لوكاتش ، وغيرهم من المنظرين الجدليين مع السعي الجاد نحو رابط مضمون أدبي بالواقع الثوري العالمي والمادي ، ومحاربة جميع التيارات الشكلية والنزاعات البنيوية التي تعنى بالشكل على حساب المضمون .

وقد برزت مدارس أساسية ضمن التيار الشكلاني الروسي و هي **جماعة موسكو** التي يقودها فيكتور شلوفيسكي ، و**جماعة تارتو السيميائية** و **حلقة براغ اللسانية** التي تمثلت الفكر الشكلاني .

تعتبر الشكلانية الروسية الممهد الفعلي للدراسات السيميوطيقية لاسيما في فرنسا واسمها الحقيقي **جماعة الأبويان** وقد ظهرت هذه الجماعة كرد فعل على انتشار الدراسات الماركسية في روسيا خاصة في مجال الأدب والفن ، وقد أصدرت مجلة تسمى **بالشعرية** بمساعدة من مؤسسة الدولة لتاريخ الفنون وقد نشطت المدرسة في العقد الأولين من القرن العشرين لتعرف اصطلاحا في أواخر سنوات الثلاثين من القرن نفسه .

ونشأت الشكلانية الروسية بسبب تجمعين هما :

1/**حلقة موسكو** تكونت سنة 1915 ومن أهم عناصرها البارزة : "رومان جاكبسون" الذي أثرى اللسانيات بأبحاثه الصوتية والفيزيولوجية ، كما أغنى الشعرية بكثير من القضايا الإيقاعية والصوتية والتركيبية ، سيما نظريته المتعلقة بوظائف اللغة والتوازن القيم الأخلاقية .

2/**حلقة الأبويان بليلينغراد** ، وكان أعضاؤها من طلبة الجامعة ، أما عن خطوط التلاقي بين المدرستين فتتمثل في الاهتمام باللسانيات والحماسة للشعر المستقبلي الجديد ، هذا ولم تظهر الشكلانية إلا بعد الأزمة التي أصابت النقد والأدب الروسيين بعد انتشار الإيديولوجية الماركسية ، واستفحال الشيوعية وربط الأدب بإطاره السوسولوجي في شكل انعكاسي مما أدى ذلك الى الفن والأدب معا.

ارتكزت الشكلانية الروسية على مبدئين أساسين:

1 / أن موضوع الأدب هو الأدبية أي التركيز على الخصائص الجوهرية لكل جنس أدبي على حدة.

2/دراسة الشكل قصد فهم المضمون ، أي شكلنة المضمون ورفض ثنائية الشكل والمضمون المبتدلة .

وقد قطعت الشكلانية الروسية مراحل عديدة في البحث الأدبي واللساني ، ففي المرحلة الأولى كان الاهتمام ينص على التمييز بين الشعر والنثر، في حين كانت البحوث في المرحلة الثانية تتعلق بوصف تطور الأجناس الأدبية ومن ثم فقد نشرت كثير من الدراسات الشكلانية ، وترجمت في مجلات غربية هامة مثل مجلة الشعرية ومجلة التحول .

الانتقادات الموجهة للنظرية الشكلانية :

كانت الشكلانية الروسية جريمة غير مقبولة في روسيا الاتحادية في مطلع القرن العشرين، والدليل على ذلك الحملات التي قام بها الإيديولوجيين الاشتراكيين ضد هذه النظرية النقدية مثل : توتسكي الذي اعتبر النظرية الشكلانية بمثابة اعتراض على الماركسية في روسيا السوفيتية وتشارسي الذي وصف الشكلانية في سنة 1930 بأنها تحريب إجرامي ذو طبيعة إيديولوجية، بيد أن هذه الشكلية ستطعم بآراء التحليل الاجتماعي الماركسي مع أحد السوسيولوجيين الروس اسمه أرفاتوف ، إلا أن الشكلانية الروسية التي أفلتت في سنوات الثلاثين من القرن الماضي قد أصبحت مدرسة مرحب بها في أوروبا الغربية منذ سنوات الستين من القرن الماضي، ونالت ثناء كبيرا من قبل الباحثين والدارسين...وفي هذا يقول "رومان جاكسون" "وعلى الرغم من المخلفات المحزنة لهذا الموقف الكريه فإننا نلاحظ اليوم ميلادا للتذكير بالاكشافات الحقيقية للسنيات وعلم الجمال السفيتي في العشرينيات لإعادة تأويلها وتنميتها في هيئة جديدة خلاقة وذلك عن طريق مقابلتها بالتيارات الراهنة للفكر اللساني والسيميائي . وإدماجها في النظام المفهوم المستعمل اليوم "

وأیضا من الانتقادات نجد إهمالها لمشاكل علم الجمال وإغفالها لمبادئ علم النفس وعلم الجمال الاجتماعي وتحويل الدراسة الأدبية إلى تطبيقات شكلية وتقنية وعلمية للاستفادة منها، مادامت هذه الدراسات تحمل الإنسان والتاريخ والمجتمع والنفس الإنسانية، أي الذات المنتجة والذات المتلقية وتقضي الواقع الذي يجمعهما .

تعد النظرية الشكلية الروسية رافدا أساسيا للبنىوية اللسانية في دراسة النصوص الأدبية من خلال الاعتماد على مبدأ أي شكل والاستعانة باللسانيات ، ومن ثم فقد برز مجموعة من الدارسين أمثال "ميخائيل باختين" الذي هو موضوع الدراسة الذي ركز كثيرا على الرواية الحوارية أو البوليفونية وعلى الرغم من سلبات هذه المدرسة التي كانت تقضي الجوانب المرجعية والموضوعية فإنها أعادت الاعتبار للشكل البنوي بعد أن استفحلت الدراسات الاجتماعية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين .

هوامش المحاضرة:

- 1- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي تر: محمد برادة ، ط1 القاهرة 1987.
- 2- دراج فيصل : الرواية والرواية العربية، المركز لثقافي العربي المغرب /لبنان 1999.
- 3- الشكلانيين الروس ، النظرية النهج الشكلي تر: ابراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للنشر 1983.
- 4- دافيد كارتر : النظرية الادبية تر:د باسل المسالمة 2018.

- 5- فلاديمير بروب : مورفولوجيا الحكاية تر: ابراهيم الخطيب الدار البيضاء /المغرب 1986.
- 6- ميخائيل باختين ، شعرية دستوفسكي تر: جميل ناصيف ، المغرب 1986.